يوسف غصوب

القفص المهجور
و
العوسجة الملتهبة

هذي أناشيدُ موقّعةٌ
أنفاسُها الحرّى على كبدي
موجعةٌ منها وموعظةٌ
بل صورتي صوّرتُها بيدي
حالاتُ نفسي في مسرّتها
أو في كآبتها ولم أزدِ ..

القفص المهجور

طُبعت مجموعة القفص المهجور لاول مرة سنة ١٩٢٨

الشعراء

عَلى غارِبِ الأحلامِ في مائجِ الضُّحى
ذهبْنا مع الآمالِ نسعى الى المُنى

فجُزْنا بحارَ النّورِ تنتشي عيونُنا
بلألائِهِ نرقى ذُرىً بعدها ذُرى

فكانَ عبيرُ الخُلْدِ يملأُ صدرَنا
ونسمعُ تسبيحَ الملائكِ في العُلى

وتلثُمُنا الأرواحُ في خطراتِها
- وقد عبقت - لثمَ الأشعةِ للندى

وَحلّتْ بنا رُوحُ الإلٰهِ فقلبُنا
كمهبطِ وحيٍ فاضَ بالنُّورِ والهُدىٰ

وطهّرَنا من ريبةٍ فنفوسُنا
كأعيُنِ أطفالٍ روانٍ إلى السّما

وأودعَنا ما شاءَ من سِرِّ حُسنِهِ
فلا شيءَ يعدونا مِنَ الحُسنِ في الورىٰ

ولطّفَ أوتارَ القلوبِ فأصبحتْ
تردُّ لأخفىٰ ما يمُرُّ بها صدىٰ

غنيٌّ دونَهُ جاهُ الملوكِ وعرشُهُم
وكلُّ نفيسٍ من ثراءٍ ومن ثرىٰ

وقال: كثيرٌ ما وُهِبتُم وانما
تذوقونَ من جرّاءِ نعمائه الشّقا

تَعيشُونَ والآلام ترعى ضُلوعكم
وتُسقونَ لذّاتٍ قراراتُها الأسى

غنيّونَ بالنَّفسِ الأبيّةِ عزّةً
وبالدمعِ يجري كلّما بائسٌ بكى

تحسّونَ بؤسَ الكونِ في ظلماته
كأنّ فؤادَ الكونِ في صدركم ثوى

وتبنُونَ للأوطانِ مجداً مخلّداً
بشعرٍ قوافيهِ منَ القلبِ والنّهى

خُلاصةَ آمالِ الشعُوبِ وخمرُها
بهِ تسكرُ الأبطالُ أو تقحمُ الوغى

هو العلمُ العالي هو الآنةُ التي
تُثيرُ رميمَ المجدِ من مضجعِ البلى

وأنتم إذا ما أزهرَ الروضُ وارتوت
قلوبُ العذارى من ضياءٍ ومن شذى

وساهرنَ نجمَ الليلِ يبسمنَ للرُّؤى
ويلبسنَ أكباداً يضيقُ بها الفضا

تلوتم نشيدَ الحُبِّ كالطلِّ صافياً
فألوينَ بالأسماعِ حيرى من الجوى

وقبّلن أذيال النسيم الذي سرى
برجع القوافي تحت أجنحة الدّجى

وباركنكم باسم الهوى وأطعنكم
خواشع لا يخشين في الطاعة الرّدى

تمرّون ملء العين فوق جباههم
من الملأ الأعلى أكاليل من بها

يشار إليكم بالبنان ويرتجى
لقاكم كما ترجى السّعادة والغنى

إذا ما ازدهتكم في المعارج نشوة
أدال لكم منها التّواضع والتّقى

وَيحيون أفراداً لكُم من نفوسِكم
عوالمَ لم يُدرِكْ لها الظنّ مُنتهى

على صِلةٍ بالرُوحِ حتى كأنّه
يُحدّثكم عمّا سيجري وما جرى

فتجلى لكُم قبل المماتِ غوامضٌ
يحاربها من لا يرى فوق ما يُرى

وحين تفرّ النفسُ من ليلِ سجنِها
الى العرشِ حيثُ اللهُ في مجدِهِ استوى

تُقرّبُ حتى تستحيل شرارةً
تُضيءُ مع الانوارِ في منبعِ السّنى

القفص الذهبي



إنّ قلبي بعد أنْ مات الهوى
قفصٌ أفلتَ منهُ البلبلُ

موحشٌ كالقبرِ لا ينتابهُ
رغبةٌ أو رهبةٌ أو أملُ

تُخفتُ الطيرُ إذا مرّتْ به
صوتَها من خشيةٍ أو تجفلُ

عرفتْ من قبلُ فيه صادحًا
في أناشيدِ الهوى يسترسلُ

تسكرُ الأسحارُ مِن تغريدِهِ
ويميلُ الروضُ ممّا يغزلُ

وكأنّ الطيرَ أصداءٌ لهُ
فيُعيدُ الطيرُ ما يرتجِلُ

هائمٌ في شدوِهِ تحسبُهُ
فِكرةً طائرةً تشتعِلُ

عشِقتهُ الزهرُ تسعى في الضّحى
مِن شذاهنّ إليهِ الرُسُلُ

أو فراشاتٌ إذا ما كُلِفت
نقلَ أسرارِ الهوى تمتثِلُ

عادَ نيروزُ وهذي شمسُهُ
في ظلالِ الرّوضِ منها قُبلُ

مُسْتديراتٌ حيارى كلّما
حرّكَ الغصنَ الهوا تنتقلُ

وترى في القفصِ الخالي لها
منظراً فاضتْ لديهِ المقلُ

سِرْبُ أرواحٍ جفاها إلفُها
فتهاوتْ إليهِ مِنْ علُ

فإذا الإلفُ شريدٌ وإذا
قفصُ الإلفِ كئيبٌ مُهملُ

. . . . . .

آه ! يا صدّاحُ هل مِنْ عَوْدَةٍ

فيُواتينا الزّمانُ الأوّلُ . . !

وحشة القلب

وَحشةُ القَلبِ في مجالسِ أُنسي
حَنظَلَتْ بالأسى حلاوةَ كأسي

لا تَقُل باسِمٌ فَرُبَّ ابتِسامٍ
كسِراجٍ يُضيءُ في كوخِ بُؤسِ

طفحَ القلبُ بالهوى وهواهُ
ضائعٌ كالشموعِ في نورِ شمسِ

أو كعينٍ تفجّرَ الماءُ منها
فوقَ جدْباءَ لم تُحَلَّ بغرسِ

برأ الله أنفس الناس أزوا
جاً تداعى فكلّ نفسٍ لنفسِ

تنشدان اللقاء ما من قرارٍ
لهما دونه ولا من تأسّي

ويح نفسي وحيدةً تتهادى
في رجاءٍ من اللقاءِ ويأسِ

أجتلي أوجه النفوس كتالٍ
يجتلي أوجه المعاني بطِرْسِ
علّني واجدٌ شقيقة نفسي

عيلُ صبري متى يرنّ بقلبي
صوتُها رنّة المثاني بعرسِ

فأرى الليلَ نيّراً والأماني
دانياتٍ والنجمَ قبضةَ خمسي

وحياتي كرحلةٍ في هلالٍ
سابحٍ في مجرّةٍ ليس يُرسي

راسُها وردةٌ تُزيّنُ صدري
وإلى طيبِها أميلُ براسي

ومنَ الحبِّ بُردةٌ نرتديها
نسجُها من خيوطِ نورٍ وقُدسِ

نحنُ أُنشُودةُ المحبّةِ والنُّورِ
تعالَتْ طليقةً بعدَ حبسِ

. . . . .

مرّ يومي فهل غدي يومُ بشرٍ
امْ غدي يقرضُ الرجاءَ كأمسي

أسحبُ البُؤسَ والسّآمةُ تجري
بي حثيثاً الى غياهبِ رمسي . . .
عِيلَ صبري ايا شقيقةَ نفسي . .


الأشطار

قربت ساعة اللقاء وغاضت
في دجى الليل كبرياء النهار

ومن القلب والرياض تعالت
نفحات الغرام والأزهار

حجرتي هيكل الهوى وفؤادي
مذبح في جلاله المعطار

أرقب الحب خاشعاً كنبي
يرقب الوحي في ظلال الوقار

هذا الليلُ ليس تُسمَعُ فيهِ
غيرُ همس النسيمِ في الأشجارِ

همسةٌ بعدَ همسةٍ في ارتعاشٍ
كحبيبٍ يبوحُ بالأسرارِ

وعلى السهلِ والجبالِ دثارٌ
شاملٌ قاتمٌ كمسحةِ قارِ

رقدَ الكونُ تحتهُ وفؤادي
مُشعلُ الشوقِ ساهرٌ والدراري...

أُرسلُ الطرفَ في الظلامِ وأُصغي
كرقيبٍ على العدى محذارِ

أسمعُ القلبَ خافِقاً في ضلُوعي
وأرى الطيبَ في الحديقةِ ساري

يرسُمُ الشوقُ في الدجى ألفَ رُؤيا
تتوالى بسُرعةِ الأفكارِ

بعضُها يبعثُ الرجاءَ وبعضٌ
يُوقِدُ الشكَّ مستطيرَ الشرارِ

أترى من مطارفِ الليلِ تبدُو
كرجاءٍ من ظُلمةِ الأكدارِ

تُوسِعُ الخطوَ خشيةً وخُطاها
تُوقِظُ الحبَّ في صدُورِ البراري

وَإِذا واجهتْ فمَلءُ يديها
قُبلاتٌ تفرُّ كالأطيارِ

وابتسامٌ بلحظِها كشعاعٍ
سائلٍ فوقَ قطعةٍ من نُضارِ

أم ترى عاقَها الرقيبُ وخافتْ
حاسداتٍ يسِرْنَ بالأخبارِ

فثوَتْ في مقرِّها وتمادتْ
نظراتٌ لها لغيرِ قرارِ

وهوى رأسُها على راحتيها
وعلا وجهَها غشاءُ اصفرارِ

دُميةٌ صاغها الأسى وكستها
رهبةُ الليلِ حلّةً من بهارِ

أم تُراها خداعةً فهي تلهو
بفؤادي كطفلةٍ بسوارِ

بينما مهجتي تذوبُ انتظاراً
هي في خمرةٍ وفي أوتارِ

ترشفُ اللهوَ في ذراعَي حبيبٍ
ضمّ من جسمها شرارةَ نارِ

أيها الليلُ قد تماديتَ صمتاً
أين وقعُ الخطى وأين اصطباري !!

صامتٌ والأسى يضجُّ بصدري
كخضمٍّ مهيّجِ التيّارِ

أدفعُ اليأسَ بالرّجا والثّواني
مسرعاتٌ والليلُ في إدبارِ

نصلت صبغةُ الظلامِ وهمّت
أنجمُ الليلِ في الضحى بالتّواري

وزقا الديكُ فالأماني حيارى
شارداتٌ تذوبُ في الأنوارِ

وأنا فاقدُ العزاءِ كأنّي
آيةُ اليأسِ في جبينِ النّهارِ



فِي رَاحَتَيْكِ فُؤَادِي
طَيْرٌ سَلِيبُ الرَّشَادِ
يَرْجُو رِضَاكِ وَيَخْشَى

يَرْنُو إِلَيْكِ غِرَارَا
فَإِنْ عَبَسْتِ اسْتَطَارَا
وَإِنْ تَبَسَّمْتِ هَشَّا

يَحُومُ حَوْلَ سَنَاكِ
مُسْتَسْلِمًا لِلْهَلاكِ
لا يَسْتَطِيعُ انْفِلاتَا

دامِيُ الجناحينِ مُضْنى
فعامِليهِ بحُسْنى
أوْ جرِّعيهِ المماتا

هلَّا عطفْتِ عليهِ
فإنَّني في مُقْلتيهِ
تضرُّعًا وملامهْ

ولا يضيرُكِ شيئا
إبْقاؤُهُ لكِ حيًّا
بنظرةٍ وابتسامهْ

يكادُ فرطَ حيائِهْ
وَخوفِهِ وَإبائِهْ
يخفي هواهُ عليكِ

فقد ترينَ صباحا
طيرًا قضى فاستراحا
مُلقىً على قدميكِ ...

القبلة العطرة

يا قبلةً تركت في الثغرِ موضعها
طيباً يعطِّر أيامي وأحلامي

زاداً يشدِّدُ من ضعفي ويُسعدني
يومَ البعادِ على تخفيفِ آلامي

تحسُّ منها دبيباً كلُّ جارحةٍ
ويحسدُ الثغرَ فيها قلبيَ الدامي

الآمال

وَلي بيتٌ مِنَ الآمالِ واهٍ
تطيرُ بهِ النُسَيْمةُ إنْ تمرُّ

فأبني غيرَهُ بيتاً فيهوي
وأُتبعهُ بآخرَ لا يقرُّ

فأقضي العُمرَ بُنياناً وهدماً
وأثبتُ ما بنى الإنسانُ قبرُ

أوراق الخريف



نثرَ الخريفُ على الثرى أوراقَهُ
فتناثرتْ كتناثرِ العبراتِ

يتركنَ أغصاناً ألِفنَ عناقَها
ويقعنَ بينَ يديَّ مضطرباتِ

يلهو الهواءُ ببعضهنَّ هنيهةً
ويعودُ يجمعهنَّ بعدَ شتاتِ

فكأنهنَّ إذا خفقنَ جوانحي
وحفيفهنَّ كأنهُ زفراتي

زفراتُ مصدورٍ تقاربَ يومُهُ
فحياتُهُ معدودةُ السّاعاتِ . . .

وجمَ الطّبيبُ وقد تبيّنَ داءَهُ
ومضى يخافُ تساؤلَ اللّحظاتِ

هيهاتَ ما كتمَ الطّبيبُ فإنّهُ
بادٍ بعينِ الأمِّ والأخواتِ

يمسحْنَ دمعَ العينِ كتماً للجوى
وأرى خطوطَ الدّمعِ في الوجناتِ

لا تمسكي يا أمُّ دمعكِ واسكبي
فالنفسُ قد بلغتْ الى اللّهواتِ

وتناثري يا خافقاتٍ في الهوا
فحياتكُنَّ قصيرةٌ كحياتي

إني رميتُ على الطريقِ يراعتي
وتلهبت في مُهجتي نفثاتي

ونهضتُ أُنشِدُ في الصباحِ قصائدي
فإذا الصباحُ يغوصُ في العتماتِ

وأصختُ للأطيارِ أسمعُ شدوها
فإذا الطيورُ سكتنَ مُكتئباتِ

وإذا الطبيعةُ وجهها مُتجهمٌ
عريتْ من الأزهارِ والبسماتِ

رَفَعَتْ غُصُونَ الدَّوحِ نحوَ سمائِها
كَذِراعِ راهِبَةٍ جَثَتْ لِصَلاةِ

. . . . .

يا غابُ كَمْ مِنْ فِكرَةٍ قد لجلجت
في الصدرِ تحتَ ظِلالِكَ العَطِراتِ

رَسَمَ الرجاءُ خُطوطَها ببهائِهِ
ومشى الشبابُ يؤمُّها بثَباتِ

وبَدا المنُونُ فأجْفَلَتْ كَغزالةٍ
سَمِعَتْ رَنينَ القوسِ في الفَلَواتِ

مالي أردد ذكرها وجمالها
والذكر يبعث كامن الحسرات . . .

. . . .

إني أتيت إلى القبور أزورها .
لأرى مقر شبيبتي ورفاتي

فوقفت أنظر لا أرى إلا الردى
حولي وإلا القبر من جنباتي

والسرو ملتفع بثوب حداده
والصمت منتشر على الأموات

وَعلى الثَّرى الأوراقُ يُشبِهُ نثرُها
آمالَ هذا العُمرِ مُنتثِراتِ

يا صاحِبيَ إذا قضيتُ فكفِّنا
جسدي النَّخيلَ بتلكما الورَقاتِ

انّ الخريفَ رمى أصولَ حياتِنا
بالموتِ عِندَ تساقُطِ القطراتِ



طافت الذكرى بقلبي فإذا
جرحه يدمى وآلامي تثور

نشرت من مهجتي عهداً مضى
مثلما يُنشر من حُقٍّ عبير

وتوالت صوراً قاتمة
في جلال الصمت والحزن تسير

موكبٌ فيه الأماني شُيّعت
وهوى في نعشها قلبي الكسير

بينها الحبُّ صريعٌ وعلى
جنباتِ النعشِ دمعٌ وزفيرُ

وإذا وجهُ حبيبي مائلٌ
في مُحيّاه من البؤسِ سُطورُ

حاولَ البسمةَ لولا أدمُعٌ
في ضياءِ اللحظِ تطفو وتغورُ

ذبلتْ في الصدرِ منهُ وردةٌ
رأسُها هاوٍ وريّاها نثيرُ

وترى فوقَ الثرى أوراقَها
كفراشاتٍ كسالى لا تطيرُ

أو بقايا ألفةٍ مزّقها

بعد طول العهدِ بهتانٌ وزورُ ...



طَفَتْ فوقَ وجهٍ شاحبٍ مُتألِّمٍ
كآبةُ نفسٍ في اللِّحاظِ تجولُ

ترى في حواشيها من الليلِ قطعةً
تضِلُّ بها الأبصارُ حيثُ تميلُ

ظلامٌ بعيدُ الغورِ تجتازُ جوفَهُ
شراراتُ فكرٍ لمحةً وتزولُ

مكامنُ آلامٍ ووجدٍ ونى بها
فؤادٌ تجافاهُ الرجاءُ عليلُ

تراءت لعيني في مساءٍ تلبدت
عليه من الصمت الرهيب سدولُ

وفي الأفق الدامي غيومٌ كأنها
أضاميمُ أزهارٍ بهنّ ذبولُ

فقمتُ إليها مشفقاً فاذا بها
كلومٌ ترى في نحرها وفلولُ

تضمّ ذراعيها عليها ودمعها
الى الصدر من فوق الجراح يسيلُ

وفي لحظها لومٌ شديدٌ وحرقةٌ
ويأسٌ كيأس الهالكين طويلُ

عَرَفْتُ بِهَا نَفْسِي فَأَطْرَقْتُ دُونَهَا

حَيَاءً وَقَلْبِي لَا يَحِيرُ ذَلِيلُ



طُفتُ في جنّةٍ مِنَ الأحلامِ
ورفيقي شقاءُ قلبي الدّامي

فإذا نحنُ في فسيحٍ مِنَ الأرضِ
غريبِ الألوانِ والأجرامِ

عُقِدَتْ فوقَهُ السّماءُ بأوراقِ
شَقيقٍ ونَرجسٍ وخُزامِ

فائضٌ نورُهُ ـ بغيرِ شموسٍ
مِن ثراهُ وأُفقِهِ المتَرامي

وعلى دوحهِ عناقيدُ ماسٍ
فوقَ غُدرانِ كوثرٍ ومُدامِ

وسواقٍ تسيرُ فيهِ كسالى
دائراتٍ به بغيرِ نظامِ

تكتسي ثوبَ ما تخايلَ فيها
مِن ضروبِ الأشجارِ والآكامِ

بُسطت حولها طنافسُ زهرٍ
في حواشٍ مِنْ مرمرٍ ورُخامِ

طائعاتٌ هوى النسيمِ فطوراً
لونُها مائجٌ كطوقِ حمامِ

وتراءَتْ تارةً في سكونٍ
كتصاويرِ نابغٍ رسّامِ

تلتقي عندها الطيورُ الشّوادي
فِرَقاً بين مُشرقٍ وقتامِ

فتُناغي أزهارها بنشيدٍ
عُلويِّ الترتيلِ والإلهامِ

وتفوحُ الأطيابُ مُمتزجاتٍ
بمسيلِ الأضواءِ والأنغامِ

يا فؤادي ألا ترى غانياتٍ
بارزاتٍ من مكمنِ الآجامِ

عارياتٍ كأنّهنّ ضياءٌ

جامدٌ في هياكلِ الأجسامِ

يتثنّين كالظّلالِ خفافًا

ما يضرن الأعشابَ بالأقدامِ

تنحني فوقها الغصونُ ويسمو

زنبقُ الرّوضِ نحوها للسّلامِ

فيقبّلنه برفقٍ كأمٍّ

قبّلت طيف طفلها في المنامِ

ثمّ يرسلن حولهنّ لحاظًا

مثقلاتٍ بشهوةٍ وهيامِ

حانيات رؤوسهن دلالا
تحت شعر كقطعة من ظلام

كلما مرت النواسم فيه
عبق الروض من أريج الغرام

وتمشت في الطير نشوة حب
عرفتها الورود في الأكمام

. . . .

ثم خفت الى الغدير العذارى
فترامت فيه كسرب يمام

يتفنّنّ في السّباحةِ والغوصِ
ونشرِ الشّعورِ كالأعلامِ

ويُثرْنَ الهوى بعطفةِ جيدٍ
والتفاتٍ مُعجّلٍ وابتسامِ

كلّما شاءتِ انصرافاً فتاةٌ
ضمّها الماءُ ضمّةَ المستهامِ

حاضناً جسمها المُنيرَ ضنيناً
بشذاها وجيدِها والقوامِ

قلتُ للقلبِ يا رفيقَ شقائي
وعنائي في صحبةِ الأيّامِ

قد طوينا الحياة حتى بلغنا
بعد شر المسير خير مقام

فلنقف عنده ونسبل ستارا
دون وادي الدموع والأسقام

ولندع عالم الحقيقة إنا
قد رضينا بعالم الأوهام

حيث نبني قصورنا راسخات
باذخات في عاليات الغمام

لا ينال الزمان منها وليست
تبلغ الريح برجهن السامي

هذهِ غايةُ الأماني هلّا
رقدةٌ في ظِلالِها بسلامِ

تتلاشى أنفاسُنا في هدوءٍ
دونما حسرةٍ ولا آلامِ

مثلما تفقدُ الزّهورُ شذاها
حالماتٍ في جنّةِ الأحلامِ





دَاوِي مِنَ اليَأسِ قَلبي ... يا مُنيَتي وَرَجائي

وَطَهّرِيهِ بِحُبٍّ ... صافٍ وَصِدْقٍ وَفاءِ

فَأنتِ بَلْسَمُ جُرحي ... الدّامي مِنَ الأرزاءِ

وَأنْتِ نُورُ طَريقي ... في ظُلْمَةِ البَأساءِ

لَقَدْ سَلَكْتُ غُروراً ... مَضَلّةَ الأهْواءِ

فَهِمْتُ في كُلّ وادٍ ... مُسْتَوحِشِ الأرجاءِ

تَغْدُو على صِدْقِ حُبّي ... فيهِ ثَعالي الرِّياءِ

فَتَغْتَذي مِنْ فُؤادي ... وَتَصْطَلي بِذَكائي

وفي دجاه ذئابٌ   هزيلة الأعضاءِ
غرثى تضيء عيونًا   وهاجة اللألاءِ
لا تستبين سواها   في فحمة الدهماءِ
كرات نورٍ حيارى   تجول في الظلماءِ
وللذئاب عواءٌ   في كل دانٍ وناءِ
يدوي صداه دويًّا   في وحشة الحوباءِ
كأن عصبة جنٍّ   سكرى من الفحشاءِ
أصلت قتالا وضجت   كالزعزع الهوجاءِ
فطارت النفس ذعرًا   من شدة الضوضاءِ
تشكو وما من سميعٍ   تبكي وما من عزاءِ

. . . . .

فقلت: أترع كأسي   لهوًا فأنسى شقائي

تفاضت الكأس نوراً ... من جذوة الصهباء
وفاح منها عبيرٌ ... كنكهة العذراء
وكلل الورد رأسي ... وخطت منه ردائي
وأقبل الصحب أفوا ... جاً يخطبون ولائي
يبدون وداً وفيهم ... تلوّن الحرباء
فرحت أنثر قلبي ... في ذمة الأصدقاء
ما بين بسمة خبث ... وضحكة استهزاء
أدري وأكتم علمي ... خوف انفرادي بدائي
فينفرون وأمشي ... في عزلة الحكماء

• • • • •

وأحمل الضيم صبراً ... عسى يخف بلائي
واركب الطيش جهلاً ... سعياً وراء الهناء

فما أسيرُ قليلاً … الّا وبُؤسي ازائي
فلمْ يُفِدْني اصطِباري … بلْ زادَ في أدْوائي
كمُسْتَجيرٍ بنارٍ … مِنْ لفْحةِ الرّمْضاءِ
وظَلَّ قلبي كئيباً … يبْكي وما مِنْ عزاءِ . . .

. . . . .

حتى بدا الحبُّ يزهو … في وجهِكِ الوضّاءِ
وفي ابتِساماتِ طُهرٍ … أبهى مِنَ الأضْواءِ
يُحِسُّ مِنْها فؤادي … في الدّاءِ سِرّ الشّفاءِ
وتُفعِمُ الكونَ حُسْناً … في أرضِهِ والسّماءِ
فكُلُّ شيءٍ جميلٌ … خِلالَ هذا البهاءِ
يُخفي القبيحَ وتَبْدو … محاسِنُ الأشياءِ

. . . .

يا نفحةَ الطيبِ هبّتْ بَرْداً على بُرَحائي

انعشْتِني ففؤادي كالروضةِ الغنّاءِ

تعانقَ الزهرُ فيها على ضِفافِ الماءِ

زنابقٌ وورودٌ بيضاءُ في حمراءِ

طُهرٌ وحُبٌّ تجلّتْ روحاهما في الفضاءِ

وأنتِ في الروضِ طيفٌ في حُلّةٍ بيضاءِ

توزِّعينَ جمالاً على زهورِ الثَّراءِ

وغِبطةً يتلاشى فيها ادِّكارُ الفناءِ

ففيكِ كُلُّ هنائي ومنكِ معنى بقائي

فأنتِ حصنٌ حصينٌ في مُهجةِ البيداءِ

تحصّنتْ فيهِ نفسي من ريحِها النَّكباءِ

وأنتِ مرفأُ أمنٍ في شاطئِ الدَّأْماءِ

صافي الأديم جليٌّ　　كالقبة الزرقاءِ

حللت فيه شراعي　　بعد النوى والعياءِ

ورحت أنفض فيه　　بؤسي كنفض الهباءِ

وبات قلبي أنقى　　من مائه في الصفاءِ

تضيء عيناك فيه　　كالأنجم الزهراءِ .

. . .

فطهريه بحبٍّ　　صافٍ وصدقٍ وفاءِ

يا ملجأي وملاذي　　يا بلسمي ورجائي

الأجنحة الملتهبة

الفلق



أعددت فلكاً للهوى عجبا
بالطيب والأنوار منتقبا

علقت في أمراسه سحباً
حمراء تحسب موجها لهبا

تهتز في أوتاره فإذا
رنت أذابت روحه طربا

والياسمين على جوانبه
وعلى المياه يعانق الحببا

مُتَناثِرٌ مِنْ صارِيَيْهِ كما
نَثَرَ الدُّجى في القُبَّةِ الشُّهبا

والوردُ أقمارٌ مُصَبَّغَةٌ
مَعقودةٌ مِنْ فوقِنا قُبَبا

وبِهِ مَجاذيفٌ مُرَصَّعَةٌ
قَبَضاتُها مَسْبوكَةٌ ذَهَبا

قامتْ عليْها عُصْبَةٌ زُهُرٌ
لَبِسوا الجمالَ غلائِلاً قُشُبا

حورٌ وولدانٌ إذا بسموا
تحتَ الظلامِ أضاءَ ملتهبا

وإذا شدَوا ألفيتَ حولهمُ
من كلِّ طيرٍ صادحٍ عُصَبا

يتلونَ من آياتِهم سوَرا
شرعتْ إلى أحلامِنا سبَبا

وإلى أمواجٌ مهفهفةٌ
شفّافةٌ فتخالُها سُحُبا

حفّتْ بمركبنا تداعبُهُ
وتكادُ تمسكُهُ إذا وثَبا

والحبُّ مُعتصِمٌ بدفّتهِ
يرمي بنا الآفاقَ والقُطُبا

في نشوةٍ عمّت فما تركت
ذِكرى لِبُؤسٍ بانَ أو قَرُبا

عيناكِ شاخصتانِ في كبدي
نجمانِ مُتّقدانِ ما غربا

عينانِ يجري الحبُّ بينهُما
كالكوثرِ المِعطارِ مُنسكِبا

والأرضُ قد طُويت وبانَ لنا
مِن عالمِ الأسرارِ ما احتجبا

وَكَأَنَّ نَفْسَيْنَا يُضِيئُهُمَا
نُورٌ بِرُوحِ اللهِ قَدْ خُضِبَا





رَيْحَانَةَ الرُّوحِ عَدَاكِ الفَنَاءْ
أنْشَقْتِني في الأرْضِ طِيبَ السَّمَاءْ

عَمَرْتِنِي مِنْ مَانِحَاتِ العُلى
بِنَفْحَةِ الحُبِّ الغَرِيبِ الشَّذَاءْ

تَفِيضُ مِنْ صَدْرِي يَنَابِيعُهُ
نَشْوى بِتَقْبِيلِ الصِّبَا والضِّيَاءْ

يَحْنُو عَلى مَعْسُولِهَا قَلْبُنَا
فَيَسْتَقِي مِنْهُ فُرَاتَ الهَنَاءْ

وتعذبُ الأيامُ في غفلةٍ
واصلةٍ بالصبحِ لطفَ المساءْ

أبوابنا موصدةٌ دونما
يشوبُ بالكُدرةِ هذا الصفاءْ

يا وردةً في الصبحِ فوّاحةً
محفوفةً مِنْ طُهرِها بالسناءْ

أدركَها الفجرُ وما استيقظتْ
فداعبتْها في كراها ذُكاءْ

نَاشِرَةً فِي شَعْرِهَا نُورَهَا
لاثِمَةً مِنْ وَجْهِهَا مَا تَشَاءْ

إِنْ تَفْتَحِ الأَجْفَانَ أَغْمَضْتُهَا
بِقُبْلَةٍ تَمْتَدُّ كَالْكَهْرَبَاءْ

أَرْسَلَهَا قَلْبِي إِلَى قَلْبِهَا
فَارْتَعَشَا مِنْ غِبْطَةٍ فِي اللِّقَاءْ

هِيَ فِينِيسَانُ عَلَى بَابِنَا
وَالطِّيبُ وَالأَنْوَارُ مِلْءُ الْفَضَاءْ

وَالزَّهَرُ الْمَنْثُورُ مِنْ حَوْلِنَا
رَصَّعَهُ بِالدُّرِّ طَلُّ الْحَيَاءْ

وَغَرَّدَتْ في الرَّوضِ اطيارُهُ
وَاسْتَرْسَلَتْ اغصانُهُ في البُكَاءْ

الفاظُكِ الأُولَى وَإِنْ تُمْتِمَتْ
احَبُّ عِنْدِي مِنْ لذيذِ الغِناءْ

وَنَظْرَةٌ باسِمَةٌ في الضُّحَى
تَفُوقُ نوراً كُلَّ شيءٍ اضاءْ

. . . . .

قد طَالَ مُنْذُ اللَّيْلِ يا مُنْيَتِي
بُعادُنا والبُعْدُ صِنْوُ الجَفاءْ

فحدثي عما رأت في الكرى
عيناك من أشباح هذا الفناء

أغار حتى من بريء الرؤى
فلتجلها الألفاظ كل الجلاء





مَواكِبُ اللّهوِ بَيْنَ النّايِ والعُودِ
تَسعى إلى المَوْتِ في ظِلّ الأغارِيدِ

عطشى تُنادي فتُسقى من مُعتّقةٍ
تَهزُّ أعطافَها هزَّ الأماليدِ

مَدّوا الدِمَقسَ لها طولَ الطّريقِ على
آواسنٍ من خبيثِ الماءِ والدّودِ

وعَرّشوا حولَها بالورْدِ فانحدرتْ
مِنَ الأضاميمِ أشباهُ العناقيدِ

تلهو به الشمسُ ما شاءتْ وترقُصُ في
مَطارِفِ الخزِّ أو في أوْجُهِ الغيدِ

والخمرُ تسربُ من كوبٍ ومنْ شفةٍ
الى التّراقي كعِقْدٍ غيرِ منضودِ

وتوّجوا مُومِسًا تعلُو مناكبَهُم
كأنّها فوقَهُم تمثالُ معبودِ

حمراءُ صاخِبةٌ شكّتْ اذا فترُوا
مهما زها منهُمُ في النحرِ والجيدِ

فيلثمونَ يديْها وهي تصفعُهُم
حينًا وتزجُرُهُم حينًا بتهديدِ

وهم سكارى يزجّيهم الى سقرٍ
ابليس في عصبةٍ من قومه السود

يسوقهم بسياط الفسق تنهشهم
نهش الأسنّة اقفاء الرعاديد

ويضحكون وقد داست نعالهم
شوى فتىً منهم في الدرب ممدود

زلّت به قدمٌ في لهوه فهوى
فنيّبوه فعال السيّد بالسيّد

مقهقهين مجوناً كلّما ارتفعت
أنّاته بين آهات الاناشيد

ضَاعتْ عقولُهُم حتى كأَنَّهُمُ
جِنٌّ تداعتْ الى الفحشاءِ في البيدِ

او راقِصُونَ على البُركانِ تَقْذِفُهُمُ
فُوهاتُهُ بشظايا مِنْ جلاميدِ

. . . .

والحُبُّ قد تركوهُ
في عُزْلَةٍ واكْتِئابِ

كأنَّمَا هُوَ شيءٌ
مِنْ سالِفِ الأحقابِ

في مُتْحَفِ الكونِ باقٍ
كدُمْيَةٍ مِنْ تُرابِ

وَقُرْبَهُ بَعضُ قَوْسٍ
مُلْقىً عَلى النُّشَّابِ

تَمِيلُ عَنْهُ العَذارَى
بِبَسْمَةِ اسْتِغْرابِ

مُسْتَهزِئاتٍ بِحُزْنٍ
عَلى الجَبِينِ مُذابِ

خَطَّتْ عَلَيْهِ غُضُوناً
ذِكرَى الهَوَى وَالتَّصَابِيْ

يَاوَيْحَ لِلْحُبِّ أَضْحَى
بَعدَ اللَّيالِي العِذابِ

يرى خلال دموعٍ
حيرى على الأهدابِ

جنازةً بين عزفِ النايِ والعودِ
تمشي إلى القبرِ في ظلِّ الأغاريدِ



كُلّما خيّمَ الظّلامُ وغابتْ
تحتَ أسدالِهِ وجوهُ الجمالِ

غمرتْ نفسيَ الكآبةُ واجتا
حتْ تباعاً مكامِنَ الآمالِ

قلقٌ يُزهِقُ الفؤادَ مُلِحٌّ
دبَّ في الصّدرِ دبّةَ الرّقطاءِ

رقدَ الكونُ هلْ تُشاهِدُ عيني
يقظةَ الكونِ في الصّباحِ التّالي

أم ترى الليلَ يستقرُّ فما مِنْ
يقظةٍ تُرتجى وما مِنْ ضياءِ

طمسَ النُّورَ والمُنى فتلاشى
سِحرُ عينيكِ في ظلامِ الفناءِ

. . . .

كُلَّما خيَّمَ الظلامُ وغابتْ
تحتَ أسدالِهِ وُجُوهُ الجمالِ

غمرتْ نفسيَ الكآبةُ واجتا
حتْ تباعًا مكامنَ الآمالِ ...

عودة الربيع



قَدْ أَوْرَقَ العُودُ واسْتَعادَتْ
رُبُوعُنا ثَوبَها الجَميلا
وَعانَقَ الطِّيبُ في الرَّوابِي
نَسِيمَ أَسْحارِها العَليلا
وَعاوَدَ القَلْبَ ذِكْرُ لَيْلى

زَمانَ لَيْلى وَكَمْ سَقانا
صَهْباءَ مِنْ كَرْمَةِ الشَّبابِ
وَمَدَّ أَشْعارَنا شِباكا
لِكُلِّ خَمْصانَةٍ كَعابِ
تَجُرُّ مِنْ تِيهِها ذُيُولا

وَمَا نَسِينَا الْغَرَامَ لَكِنْ
تَقَاسَمَتْ نَفْسَنَا الْهُمُومُ
كَأَنَّنَا الأَرْضُ فِي شِتَاءٍ
مُخَلَّدِ الثَّلْجِ لا يَرِيمُ
أَضَلَّ عَنْ صَيْفِهِ السَّبِيلا

يَا لَيْتَ أَعْمَارَنَا فُصُولٌ
شِتَاؤُهَا يَسْبِقُ الرَّبِيعَا
فَيُورِقَ الْقَلْبُ بَعْدَ عُرْيٍ
وَتَمْلأَ الصَّبْوَةُ الضُّلُوعَا
وَيَبْعَثَ الْحُبُّ عَهْدَ لَيْلَى

النغمة الغناء

فِي الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ كَمْ مِنْ وَرْدَةٍ
ذَبُلَتْ وَمَا نَعِمَتْ بِشَمِّ حَبِيبِهَا

رَقَدَتْ عَلَى أَخَوَاتِهَا وَتَنَاثَرَتْ
وَرَقَاتُهَا وَمَضَى النَّسِيمُ بِطِيبِهَا

كَمْ عَطَّرَتْ مَا حَوْلَهَا وَتَأَهَّبَتْ
لِلِقَاءِ مَنْ حَلَمَتْ بِهِ فِي سِرِّهَا

وَقَضَتْ لَيَالِيَهَا تُصِيخُ لِنَغْمَةٍ
عَذْرَاءَ طَافَتْ فِي خَوَافِي صَدْرِهَا

حنّت الى الم وثغر غاشم
يمتص منها طيبها ومدامها

تعطيه ما ذخرت له من لذة
وتشق عما خبات اكمامها

وتذوب نشوى تحت لمس بنانه
في غبطة فيها يطيب مماتها

لكنها ذبلت ولم ينعم بها
احد فكانت كالممات حياتها

نور الفؤاد

فاجأني الموتُ فألفيتُني
مُلقًى على نعشٍ وثيرِ الوسادْ

تُضيءُ من حولي شموعُ التُّقى
معقودةً أعناقُها بالحِدادْ

والوردُ حاني الرأسِ أودتْ بهِ
أنفاسُهُ الحرّى وطولُ السُّهادْ

في حجرةٍ مُفعمةٍ رهبةً
يغالبُ النّورَ عليها السّوادْ

وَالدَّمعُ يجرِي هادِئاً قانِيا
كأنَّما في العينْ شوْكُ القَتَادْ

يبُلّ جُثمانِي وَقدْ أُغمِضتْ
اجفانُهُ وامْتَدَّ فيْهِ الفسَادْ

حنَّتْ الى الغبْرَاءِ ذرّاتُهُ
فاسْرعتْ في عوْدِها للجمادْ

وحنَّتِ النّفسُ الى أصْلِها
فافْلتتْ مِنْ حلقَاتِ الصّفادْ

والأهْلُ فوقَ النّعشِ الامُهُمْ
حائِمَةٌ كالعطْفِ فوقَ المِهادْ

يبكون في روعتهم ساريا
أدركه في التيه فجر الرشاد

فانشقت الآفاق عن سرها
وانصدع السبع الطباق الشداد

فالكون نور فائض رحمة
ينثرها في الكون باري العباد

فتهتدي بالحب أرواحنا
فكل روح نفحة من وداد

والأرض في مهواتها لمحة
خاطرة أو ذرة من رماد

يَصْطَخِبُ القَوْمُ عَلَى سَطْحِهَا
مَا بَيْنَ أَنْجَادِ الهَوَى وَالوِهَادْ

قَاسُوا بِفِتْرِ الأَرْضِ أَطْمَاعَهُمْ
وَاسْتَقْدَحُوا فِي كُلِّ سُخْفٍ زِنَادْ

وَقُيِّدَتْ بِالتُّرْبِ أَرْوَاحُهُمْ
فَمَا لَهَا فَوْقَ السَّحَابِ امْتِدَادْ

. . . .

يَا رَقْدَتِي فِي سَاطِعَاتِ الضُّحَى
أَرَحْتِنِي مِنْ بَعْدِ لَيْلِ الجِهَادْ

أنامُ في مَثْوايَ مُسْتَسْلِماً
لِلحُبِّ تحتَ العرشِ حتّى المعادْ

لا تُوقِظوني إذ أكُنْ حالِماً
فَقَدْ أضاءَ المَوْتُ نُورَ الفُؤادْ

نزار

فِي نِدَاءِ البَوَاخِرِ الذَّاهِبَاتِ
دَعْوَةٌ لِلشُّرُودِ وَالإِفْلَاتِ

مِنْ حَيَاةٍ ضَئِيلَةٍ تَتَفَانَى
فِي عَقِيمِ المُنَى وَفِي الحَسَرَاتِ

سَمِعَتْ نَفْسِيَ النِّدَاءَ مَسَاءً
مُسْتَطِيلاً مُمَوَّجَ النَّبَرَاتِ

فَأَثَارَ النِّدَاءُ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ
صُوَرًا فِي المَوَاطِنِ القَاصِيَاتِ

وحنينًا إلى غريبِ نجومٍ
وطيوبٍ غريبةِ النفحاتِ

وانعتاقٍ من القيودِ الدوامي
وانتشارٍ كالريحِ في الفلواتِ

وانفراجِ الآفاقِ كُلَّ صباحٍ
عزّدُني من عجائبِ الكائناتِ

كلّما أخلقَ المساءُ جمالًا
جدّ منهُ روائعٌ في الغداةِ

• • •

يا نِداءً دَوِيُّهُ يتَوالَى
في ضُلوعٍ مِنَ الأسى خافِقاتِ

لَسْتَ في مُهْجتي تَرِنُّ وَحيدًا
كمْ نِداءٍ في يَقْظتي وَسُباتي

كُلَّ يومٍ تُصيخُ نفسي لِصوْتٍ
هابِطٍ مِنْ عوالِمٍ خافِياتِ

فَهْيَ تَهفو الى المُنادي وتَرْقَى
كبَخورٍ اليْهِ أوْ كَصَلاةِ

أَتُرى هذِهِ النُّفوسُ الحَيارى
في اغتِرابٍ عَنْ عدْنِها مُبْعَداتِ

فَإِلَى عَدْنِهَا تَذُوبُ اشْتِيَاقًا
وَحَنِينًا إِلَى قَدِيمِ الحَيَاةِ

خَيبَة

نَفْسِي تُشَابِهُ مَركَباً يَجرِي
كَالحُلْمِ بيْنَ شَواطِئِ العُمْرِ

حَمَلَتْهُ الآمالُ نادِيَةً
فوّاحَةً كَخَمائِلِ الزَّهْرِ
وعواطِفاً عذراءَ كالقطْرْ

وَرفَعتُ مِنْ مَرَحِ الشَّبابِ لَهُ
شُرُعاً تنالُ مواطِنَ الزُهُرِ

وملأتُه من خيرِ ما ملكتْ
يُمناي من طيبٍ ومن خمْرِ

حتّى إذا أكملتُ عُدّتَه
اقلعتُ عند تبلّجِ الفجْرِ

ومن الصَّبا روحٌ يسيّرنا
رهْواً الى جُزُرٍ من الدُّرِّ

في شاسعِ الآفاقِ قد برزتْ
مغمورةً بغمائمٍ حُمْرِ

سِرّيّةٍ حيناً تلوحُ لنا
وتغورُ بعضَ الحينِ في الغمْرِ

لا تَسْتَقِرُّ كَأنّما كُتِبَتْ
جِنٌّ عَلَيْهَا آيَةَ السِّحْرِ

في أرضِ تِلْكَ الثُّغُورْ
وَجْهُ الرَّبيعِ المُنِيرْ
بَاقٍ على الدَّهْرِ

أزهارُهُ والثِّمارْ
في نَضْرَةٍ وازدِهارْ
جَنْبًا الى جَنْبِ

فيها لَيَالِي السَّلامْ
مَلْأى مِنَ الأحْلامْ
نَشْوى مِنَ الحُبِّ

يَفِيضُ مِنْهَا الهَنَاءْ
كَمَا يَفِيضُ الضِّيَاءْ
مِنْ مَنْبَعِ الفَجْرِ

لَذَّاتُهَا لَنْ تَزَالْ
مُجَدَّدَاتِ الكَمَالْ
طَوْعَ المُنَى تَجْرِي

فَكُلُّ مَا تَشْتَهِيهْ
مِنْ غِبْطَةٍ تَلْتَقِيهْ
أَدْنَى مِنَ الفِكْرِ

ترى نخل الرحال
بعد الليالي الطوال
في ذلك الثغر !!

. . . .

يا نفس هذي جزر حولنا
ماثلة في ثوبها الأخضر
قريبة منا ألا تنزلين ؟

فيها أناس مثلنا في هناء
حينا وحينا مثلنا في شقاء
يرجون أو يبكون أو يضحكون

فيها أزاهيرٌ بأشواكها
وأنجمٌ في سودِ أفلاكها
وراحةٌ بعد العناءِ الشّديدْ

يُطبقُ الغيمُ عنانَ السّماءْ
فيها ويبدو الأُفْقُ بعدَ الصّفاءْ
شِبْهَ رُؤْيا مِنْ جِنانِ الخُلودْ

. . . .

أعرضتِ النّفسُ ولمْ تقْنعِ
وأوغلتْ في سيرِها لا تعي

. . . .

مَرَّتْ بنا الأيّامُ هازِئَةً
بِرجائِنا وفؤادِنا الثَّمِلِ

ما أشرقَتْ شمسٌ وما غرُبَتْ
إلاّ على ذاوٍ من الأمَلِ

تِلكَ الجزيرةُ أينَ مرفأُها
وَعبيرُها السّاجي على كبِدي

قد أصبحَتْ مِنْ دونِها سُجُفٌ
سُودٌ مِنَ البأساءِ والكمَدِ

غاضَتْ فباتَ اليَمُّ أقفرَ مِنْ
قلبي وأبعدَ مِنْ مدى حزَني

وَالفُلْكُ قَدْ مَالَ الشِّرَاعُ بِهِ
فَثَوَى كَمَيْتٍ لُفَّ فِي كَفَنِ

أوْ فَرْخِ نَسْرٍ مَرَّ فِي شَرَرٍ
مِنْ نَيْزَكٍ فَهَوَى مِنَ السُّحُبِ

مَيْتاً تَرَى مِنْهُ قَوَادِمَهُ
مَخْضُوبَةً بِسَوائِلِ الشُّهُبِ

قَدْ كَانَ يَطْمَعُ بِالنُّجُومِ وَقَدْ
لَاقَى هَوانَ المَوْتِ فِي الطَّمَعِ

يَا جُذْوَةً فِي الصَّدْرِ قَدْ خَمَدَتْ
مَا كَانَ أَغْنَاهَا عَنِ الجَشَعِ !

سدرة المنتهى

لذّاتُنا في الشّوقِ لا في الوِصالْ
كم أسكرتْ نفسِي دُمُوعٌ جرتْ
وفكرةٌ طاحتْ وراءَ الخيالْ

ألبستُ أحلامِي جمالاً قشيبْ
حتّى إذا ما فُزتُ يوماً بها
بانتْ عليها خافياتُ العيُوبْ

وطُفتُ في الآفاقِ دهراً فما
أروتْ غليلي بلْ أذابتْ به
حُزناً جرى في مُهجتي علقماً

وَقَدْ حَسِبْتُ المَالَ يُفْضِي إِلَى
نُعْمَى تَعُمُّ النَّفْسَ لكِنَّنِي
أَلْفَيْتُهُ مِنْ عُدْمِهَا أَثْقَلَا

وَالعِلْمُ تِيهٌ فِي سَرَابٍ وَآلْ
حَارَتْ عُقُولُ النَّاسِ فِيهِ فَمَا
تَدْرِي أَهُدْيًا أَثْمَرَتْ أَمْ ضَلَالْ

وَالمَجْدُ لَفْظٌ مِثْلُ خَمْرِ الدِّنَانْ
يَلْوِي بِأَعْنَاقِ الوَرَى إِنَّمَا
عَاقِبَةُ الصَّهْبَاءِ قَتْلُ الجَنَانْ

بدا لِقلبيْ في بجوفِ الدُجى
نورٌ بعيدٌ قدَ اضاءَ الهوى
نبراسهُ واستلَّ منهُ الضُحى

وإذ بروضٍ ماؤُهُ من مُدامْ
ودوحهُ مسحورةٌ كُلّما
تمايلتْ غنّتْ نشيدَ الغرامْ

فقلتُ: قِرّي قد بلغنا المُنى
يا نفسُ هذي سِدرةُ المُنتهى
اظلالها فيّاضةٌ بالهنا

قَرَّتْ زماناً تحتَ افيائِها
ثم استفاقتْ وهيَ مذعورةْ
مَرِيضةً عادتْ الى دائِها

حَنَّتْ الى عهدِ الليالي العِذابْ
في صُحبةِ الاحلامِ تسعى الى
اوطانِها العُليا وراءَ السَّحابْ

فقلتُ : عودي واسرحي والخيالْ
في اربعٍ ما خابَ رُوَّادُها
لذّاتُها في الشوقِ لا في الوِصالْ



يا إلهي إليك تضرع نفسي
فأغثها يا رب من كل رجس

قد طغت حولها الشرور فتضحي
في غمارٍ من الشرور وتمسي

كنت في غبطة السذاجة لا
أشقى بشك ولا أبالي بلبس

في وفاق مع الطبيعة أحيا
مثل طير الرياض أو مثل غرس

فدعاني إليكَ داعٍ فودّعتُ
هنائي إلى نضالٍ وبأسِ

فإذا الكونُ غيرُ ما كنتُ فيهِ
مأتمٌ لا مقامُ حبٍّ وقدسِ

حشدتْ ملأَهُ العِدى واستحالتْ
باسماتُ الوجوهِ أوجهَ عبسِ

أُغمضُ الطرفَ مكرهاً عن جمالٍ
كانَ فيهِ على الطهارةِ أُنسي

وأُصمُّ الأسماعَ عن نغماتٍ
كانَ قلبي يهيمُ فيها وحسّي

صُقِلَتْ مِنّيَ الشَّوَاعِرُ حتّى
هَاجَ أوتَارَ عُودِهَا كُلُّ جَرْسِ

فَهْيَ تَعْوِي مُوَلْوِلَاتٍ جِيَاعاً
كَذِئَابٍ يَعْوِينَ فِي الدَّوِّ طُلْسِ

جَرَعَتْ مِنْ دَمِي وَأَفْرَغْنَ فِيهِ
مِنْ سُمُومٍ غَلِيظَةٍ شَرَّ كَأْسِ

هُنَّ خَمْسٌ وَكُلُّهُنَّ عَدُوٌّ
وَيْلَ نَفْسِي مِنْ أَصْغَرَيَّ وَخَمْسِي

وَجُيُوشٍ مُلِحَّةٍ مِنْ شُكُوكٍ
غَاشِمَاتٍ مُعَشِّشَاتٍ بِرَأْسِي

كالحاتٍ تدبُّ من كلِّ صوبٍ
كدبيبِ الديدانِ في جوفِ رمسِ

وإذا ها دنتْ بدتْ فاسقاتٌ
يتثنّينَ في شفوفِ الدِّمقسِ

فاجراتُ النّهودِ مبتسماتٌ
بشفاهٍ عطشى إلى الفحشِ يبسِ

يتعاطينَ كلَّ كوبٍ دهاقٍ
من رحيقٍ بلونِ وردٍ وورسِ

تملأُ الصّدرَ زغرداتٍ وتُلقي
في ظلامِ الأسى أشعّةَ شمسِ

وطيوب بسورة الخمر فاحت
من شعور كخوذة التبر ملس

أو شعور مفرفرات تعالى
لانفلات فلا تطيق فترسي

ضقت ذرعا بمغويات غراثى
يتصدين لي بغمز وهمس

يتهافتن حيث كنت ويمنعن
صلاتي ويرتقصن بطرسي

وأنا أوصد النوافذ والقلب
وأبكي دما بظلمة حبسي

لا نَجِيَّ سواكَ أُفضي إليهِ

في دُجى وَحْشَتي بِضُعْفي وَبُؤْسي

أشْكَلَ البُغْضُ والمحبَّةُ عِنْدي

وَغدا اليومُ في العَناءِ كأمْسِ

مَنْ أنا في الأنامِ حتّى تداعى

كلُّ جِنٍّ إلى هلاكي وإنْسِ ؟

أنْتَ رَبّي دعوتَني لِعذابٍ

أمْ لِأمرٍ يفوقُ ظنّي وحدْسي

ربِّ رُحماكَ ما تُريدُ فإنّي

كُنْتُ في وَحْدتي أُصابُ بِمسِّ

أَنْتَ أَدْرَى يَا رَبِّ مِنِّي بِخَيْرِي

فَلْيَكُنْ مَا تَشَاءُ. لَكِنَّ نَفْسِي

ضَعُفَتْ فِي كِفَاحِهَا فَتَرَفَّقْ

وَأَعِذْهَا رُحْمَاكَ مِنْ كُلِّ يَأْسِ

يقظةُ الحبِّ في صدورِ العذارى
نشوةُ الروضِ حالماً بالربيعِ

نشوةُ الفجرِ ناضياً بارتعاشٍ
برقعَ الحلمِ عن وجوهِ الربوعِ

يتفشّى في صفحةِ الأُفْقِ ورداً
ناصعَ اللونِ في شحوبِ الرقيعِ

. . . .

وَالرَّوَابي نَوَاعِسٌ تَحْتَ وَهْمٍ
مِنْ بَوَاكِيرِ وَشْيِهَا المِعْطَارِ

تَنْفُضُ العَالِقَ الخَفِيفَ مِنَ اللَّيْـ
لِ اشْتِيَاقاً الى انْبلاجِ النَّهَارِ

والى قُرْبِهَا وِهَادٌ رُقُودٌ
في ظِلالٍ تَمُوجُ بِالأَسْرَارِ

يا صَبَاحَ الهَوَى بِقَلْبِ العَذَارَى
انتَ في جَنَّـةِ المُنَى مَهْرَجَانُ

جَنَّةٌ فَتَّقَ الرَّيَاحِينَ فِيهَا
وَسَقَاهَا مِنْ خَمْرِهِ نَيْسَانُ

صانها عن لحاظِ كُلّ دخيلٍ

من حياءٍ وعِفّةٍ جُدْرانُ

. . .

جنّةٌ في الضّلوعِ تسرحُ فيها

شارداتٍ خواطِرُ الفتياتِ

تلتقي في الطّريقِ بعضُ طيوبٍ

فوقَ عرضِ الطّريقِ مُعْتنقاتِ

وطيورٍ مُغرّداتٍ بلحنٍ

خافتٍ في الخمائلِ المُنْصتاتِ

. . .

عالمٌ مُقفَلٌ على كُلّ سِرٍّ

عزّ كالكنزِ في صِوانِ الصّدورِ

طُفْنَ في رَوْضِهِ النَّدِيِّ خِفافًا
سِرْبَ حُورٍ في هالَةٍ مِنْ عَبيرِ

مُتْرَعاتٍ مِنَ المُنَى حالِماتٍ
بِلَذاذاتِ سَوْفِها المَسْتُورِ

. . .

رُبَّ عَذْراءَ خِلْتُها في سَماعٍ
لِنَجِيٍّ وَلَيْسَ تَسْمَعُ شَيّا

شَغَلَتْها عَنْ نَجْوِهِ خَطَراتٌ
هِجْنَ في قَلْبِها نَشيدًا خَفِيّا

فَرَّ جُسْمانُها الخَلِيُّ وَراحَتْ
تَنْتَحِي رُوحُها مَكانًا قَصِيّا

. . .

بسمة الثغر طيف نور شرود
من ضياء بصدرها محجوب

واكتئاب على الجبين ذبول
في ورود وغصة في طيوب

وذهول بلحظها نظرات
حائمات على غدير حنيب

. . .

كلما مرت العذارى تهادى
في برود من طهرها اللألاء

هائمات في عالم النور ينثر
ن نجوما في عالم الظلماء

هَلِعَ القلبُ أنْ يَراهُنَّ يوماً
دامياتٍ على ضِفافِ الشَّقاءِ

هُنَّ عطفٌ مِنَ السَّماءِ مِنَحٌ
خيرُ ما يمنحُ العِبادَ اللهُ

تَطْهُرُ النَّفْسُ حيثُ كُنَّ وتَرْقَى
بِصلاةٍ إلى الإلهِ الشِّفاهُ

وترى الشَّرَّ دونهنَّ كظيماً
خاسِئاً تلزمُ الثَّرى مُقْلتاهُ

هُنَّ رُؤْيا ضُحًى تجلَّتْ وكادتْ
تَتَوارى بِيَقْظَةِ الأطيارِ

فهي في العين لا تزال ولكن
تتلاشى كنغمة في قرار

فأنا أطبق الجفون عليها
خوف إفلاتها مع الأسحار

. . .

دمية أقرب الدمى لانكسار
في يدي مارد فتى فتاك

يتلهى بها وفي كل لمس
من يديه نذيرها بالهلاك

خطر زادها على الحسن قدرا
كورود نبتن في أشواك

. . .

يَا رَعَى اللهُ رَحْمَةً بِالبَرَايَا
اخَوَاتِ المَلَائِكِ الأَطْهَارِ

نَفْحَةٌ مِنْ جِنَانِهِ البِيضِ نُورٌ
عُلْوِيٌّ فِي ظُلْمَةِ الأَشْرَارِ

تُخْسَفُ الأَرْضُ بِالخَطِيئَةِ لَوْلَا
شَافِعُ الطُّهْرِ فِي العَذَارَى الصِّغَارِ

أنجز طبع هذه المجموعة علىَ مطابع دار المعرض
في بيروت (لبنان) في شهر حزيران
من سنة ١٩٣٦

عدد نسخها ٧٥٠ منها ١٠ نسخ على ورق - لافوما-
مرقومة من ١ الى ١٠

هذه المجموعة

من خط

كامل سليم البابا